

أن تعيش حراً وسط عالم محكوم بنظرة الآخرين، فذلك أصعب من أن يكون حقيقة، لكننا نصطدم بالواقع الذي يُذكرنا بأننا جزء من جماعة كبيرة، وهي الجماعة التي حددت ما ينبغي أن يكون بغض النظر عن درجة صوابه، وهي الجماعة التي وضعتنا في إطار بات الخروج عنه مدعاة للرفض، هي أمور ترسخت بشكل عميق حتى صارت طبيعية، فلم يعد هينا أن يستشعر المرء حرته كما يشتهي، ويضل بذلك خاضعا للآخرين بشكل أو بآخر، ولا بد له أن يتصرف وفق ما يناسب المجتمع، هكذا كانت تسير الأمور ولا تزال بوتيرة أقل مما كانت بقليل، وبقدر ما قلت الوتيرة صار الناس يبحثون عن ملاذ آمن لحياتهم، وباتت الأقلية تؤمن بالحرية أكثر، رغم أن ممارسة الحرية يضع دائما وجود الآخرين في عين الاعتبار، ورغم كل ذلك يحاول المتحررون أن يعتنقوا حرياتهم رغم اصطدامهم بالواقع، طالما كان الآخرون بمثابة قيد للحرية، ولقد صدق جان بول سارتر لما قال بأن الجحيم هم الآخرون، وتنشئنا الاجتماعية تسير هذا الطرح، وتدفعنا لنكون أفرادا داخل مجموعة تشارك وتنتمي وتتفاعل في إطار الجماعة، ومحاولة ممارسة ما يخالف ذلك يبدو صعبا للغاية، ودائما ما نصطدم بتنشئتنا وثقافتنا التي جعلتنا نسخ متناثرة لعقليات انسجمت بشكل سلبي، قد نبدي اختلافنا ورفضنا لكل تلك السلوكات التي لم تعد ملائمة لطريقة تفكيرنا ولنظرتنا، لكننا ما نفك نفعل ذلك حتى نتورط من جديد في حقيقتنا، تلك الحقيقة التي يصعب الفكك منها، رغم محاولتنا الميؤوس منها، ننجح أحيانا في السيطرة على اختلافنا وفردانيتنا، لقد خسرنا شخصيتنا بسبب تربيتنا التي ورطتنا في خيبات وخطايا تُبعدنا عن إنسانيتنا.